(٩)
الحياة
العائلة

obeikandl.com

يعيش الإنسان حياته إلى أن ينتهى أجله الذى يفضى إلى الموت.. وبانتقاله من دنيانا يعيش حياة البرزخ، حيث تجتمع كل الخلائق تمهيداً ليوم العرض والنشور.

ومادمنا قد آمنا بالإسلام دينا، وما فيه من عقائد، فليس أمامنا لمعرفة هذا العالم إلا ما جاء به وحى السماء.. القرآن الكريم والسنة المطهرة هى سبيلنا إلى الوقوف عند تصور للعالم الذى فيه تستقر كل الخلائق.. إما حيث النعيم المقيم أو العذاب..

فمن الصعب تصور حقيقة الحياة فيه، لأنه كما يقرر القرآن الكريم. فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ومادام هذا العالم فيه ما لم تقع عليه عين، أو سمعت به أذن، أو خطر على قلب إنسان، فهذا يعنى أن القرآن الكريم يقرب لنا صورة هذا العالم.. أما حقيقته فشىء يصعب على العقل إدراكه.. إنها صور تقريبية.

ولقد احتل الحديث عن البعث مساحة كبيرة فى الفلسفة الإسلامية..

فهناك من قال: أن البعث سيكون للأرواح.

وهناك من قال: أن البعث سيكون بالروح والجسد ودارت مناقشات طويلة من خلال هذه الفلسفات حول كيفية عودة الأجساد

لأن هذه الأجساد التى تحولت إلى تراب، يعترى هذا التراب الذى كان جسدا إنسانيا متغيرات، فقد تُغذى جزيئاته نباتات الأرض، أو يكون هذا الإنسان قد ابتلعته أمواج الأنهار أو البحار، وأكلته الأسماك، أو احترق وتحول إلى رماد، فكيف يعود هذا الجسد كما كان على طبيعته؟

وهؤلاء الفلاسفة بهذا المنطق العجيب تخبطوا فى الظلمات ونسوا أن الله يقول للشىء كن فيكون.. فلا يستعصى على الله تعالى شيئاً.. والله الذى خلق العالم من عدم قادر على أن يعيد للأرواح أجسادها البالية.

وعندما تأثر الناس بالفلسفة اليونانية التى بدأت تنتشر فى العالم الإسلامى فى خلافة المنصور والمأمون، بدأت هذه التأثيرات تظهر فيما يسمى بالفلسفة الإسلامية. رغم ما فى الفلسفة من محاذير ومن هذه المحاذير أن الفلسفة ليس لديها مقياس للتفرقة بين الحق والباطل، وأن أراء الفلاسفة تختلف حول الموقف الواحد، كما أن هذه الفلسفة تبنى على الظن، لا على اليقين، ومن هنا كان من الصعب على هؤلاء الفلاسفة أن يصلوا بنا إلى اليقين وهم يتحدثون عن البعث وهل هو بالروح أو بالروح والجسد! *

ومن هنا فقد حمل الإمام الغزالى على الفلسفة حملة عنيفة وبالطبع لم يكن ذلك من فراغ، فقد درس هذه المذاهب الفلسفية

دراسة عميقة، ثم كان رد على تلك الترهات من خلال فكر منظم عميق، مستندا إلى الكتاب والسنة فى كتابه (تهافت الفلاسفة) فالإمام الغزالى يتعجب عن كيفية السير وراء الفلسفة، بينما عندنا كتاب الله المعصوم. . وهو كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير.

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود أن الإمام الغزالى حمل على الأساس التى تقوم عليه الفلسفة وهو (العقل) حملة عنيفة، وهجم عليه هجوما قويا، لم يعتبر قط عند عن مهاجميه منذ ألف كتابه القيم (تهافت الفلاسفة) محاولة موفقه كل التوفيق، جريئة كل الجرأة طريفة كل الطرافة، وما كان المقصد الأول والهدف الأساسى لهجومه هدم الآراء نفسها، فبعضها صحيح موافق للدين، ومع ذلك فقد هدم الإمام الغزالى المنهج العقلى الذى استندت إليه هذه الآراء.

فخلود النفس مثلا رأى يقول به الغزالى. ويقول به الفلاسفة، ولكن الإمام الغزالى حمل معوله على طريقة الفلاسفة فى إثبات خلود النفس وهدم أدلتهم، وضرب بمعوله فيها فانهارت وتهافتت، ومع ذلك فقد كان هو مؤمنا بهذا الخلود، إنه لم يلتزم فى هذا الكتاب إلا تكدير مذهبهم، والتعبير فى وجه أدلتهم بما يبين تهافتهم!

ومقصوده: تنبيه من حسن اعتقاده فى الفلاسفة، وظن أن مسالكهم نقية عن التناقض ببيان وجوه تهافتهم.

ويقول: أنا لا أدخل فى الاعتراض عليهم إلا دخول مطالب مفكر، لا دخول مدع، مثبت، فأبطل عليه ما اعتقدوه، مقطوعا بإلزامات مختلفة.

فألزمهم تارة مذهب المعتزلة.

وثانية: مذهب الكرامية.

وطورا: مذهب الوقفية.

ولا أنهض ذابا عن مذهب مخصوص.

ويقول الأستاذ بلاسيوس بحق:

«إن الغزالى حينما سمى كتابه (تهافت الفلاسفة) - كان يريد أن يمثل لنا أن العقل الإنسانى يبحث عن الحقيقة، ويريد الوصول إليها، كما يبحث البعض عن ضوء النهار: فإذا أبصر شعاعاً يشبه نور الحقيقة، انخدع به، فرمى بنفسه عليه وتهافت فيه!

ولكنه يخطىء مخدوعاً بأقيسة منطقية خاطئة فيهلك كما يهلك البعوض.

فكأن الغزالى يريد أن يقول: «أن الفلاسفة خدعوا بأشياء أسرعوا إليها بلا إعمال روية، فتهافتوا، وهلكوا الهلاك الأبدى».

ويرى الإمام الدكتور عبد الحليم محمود أن محاولة ابن رشد - وهو أكبر المدافعين عن الفلاسفة فى كتابه (تهافت التهافت) - عملا غير مفيد فى حسم النزاع، إذ أن دائرة النزاع الحقيقية إنما هى الأساس الذى بنيت عليه الآراء وليست الآراء نفسها!

ويقول:

والواقع أن فكرة الإمام الغزالى لاتزال للآن تتسم بالسهولة والوضوح والقوة: لقد أخفقتم أيها العقليون والدليل على إخفاقكم اختلافكم المستمر، هذا الاختلاف أصبح وكأنه القاعدة والمبدأ العام.

* * *

إذن فنحن لا نلتفت إلى أقول بعض هؤلاء الفلاسفة فى أن الأرواح هى التى تحشر لا الأجساد، وهى التى تنال الجزاء أو العقاب.. فهى اجتهادات عقلية، وليست دليلا على شىء.

فالجرى وراء العقل ساق بعضهم إلى أن يقول أن الله يدرك الكليات دون الجزئيات.. وهذا يتنافى تماماً مع قدرة الله الشاملة المدركة لكل شىء حتى حركة الذرات فى دورانها:

﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣].

إذن ما لنا نجرى وراء أفكار نخطئ ونُصيب ولا يكون وسيلتنا (الوحى) وهو لا يخطىء.. وآيات القرآن الكريم مليئة عن كيفية قيام العالم الآخر.. من نفخ فى الصور، إلى الحشر، ثم الحساب، ودخول الناس حسب ما قدمت أيديهم إما إلى النعيم أو الجحيم. حيث يصبح العالم الآخر هو الحياة الحقيقية، والتى نكتشف حقائقها عقب الرحيل عن الدنيا:

﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

إن الإنسان فى حياته الخالدة تلك يعيش حياته الحقيقية، فلن ينقص حياته مرض أو شيخوخة أو مشكلات الحياة التى كنا نصادفها فى دنيانا ونحن نجاهد فى سبيل لقمة العيش، وإنما هذه الحياة لا نصب فيها ولا تعب.

﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وهى حقيقة مؤكدة يؤكدها قوله تعالى:

﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه: ١٥، ١٦].

ولكن قيام الساعة لايمكن وصفه إلى بما وصفه الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ١، ٢].

ومن يقرأ الآيات التى تتحدث عن هذا اليوم الذى يجعل الولدان شيبا، لابد أن يفكر طويلا ليعمل لهذا اليوم، ويستعد بالزاد الذى يؤهله لملاقاة ربه العظيم الجليل.

يبدأ هذا اليوم العظيم بالنفخ فى الصور:

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٦٨ - ٧٠].

ونقف عند تفسير الإمام ابن كثير:

يقول تبارك وتعالى مخبرا عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة فقوله تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾. هذه النفخة هى الثانية وهى نفخة الصعق وهى التى يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله كما جاء مصرحاً به مفسرا فى حديث الصور المشهور، ثم يقبض على أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحى القيوم الذى كان أولا وهو الباقى آخرا بالديمونة والبقاء ويقول:

- لمن الملك اليوم؟ ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول:

- لله الواحد القهار. أنا الذى كنت وحدى وقد قهرت كل شىء وحكمت بالفناء على كل شىء، ثم يجىء أول ما يجىء إسرافيل ويأمره أن ينفخ فى الصور أخرى وهى النفخة الثالثة نفخة البعث قال: عز وجل:

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

أى أحياء بعد ما كانوا عظاما ورفاتا وصاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤]

وقال عز وجل:

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٥٢].

وقال جل وعلا:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥].

ويشرح قوله تعالى:

﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]. أى أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء..

* * *

يوم رهيب يجازى الإنسان فيه بما كسبت يداه فإما إلى الجنة، وإما إلى النار.

أهل اليمين إلى الجنة:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٩].

فالعدل المطلق هو أساس هذا اليوم

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

يوم رهيب لايمكن تصوره.

ولكن رحمة الله بعباده لاتغيب وسط هذه الأهوال.. إذا كان القرآن الكريم فى سور عديدة يتحدث عن أهل الجنة وكيف ينعمون فيها.. وأهل النار وكيف يتعذبون فيها، فإن هذه الصور تقريب لعقولنا المحدودة عما سوف يحدث، أما واقع ما يحدث فهو شىء آخر.. لأن فى هذا العالم الآخر «ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».. والذى يمكن أن تستوعبه أن هناك نعيما متمثلا فى الجنة.

وشقاءً متمثلا فى النار.

* * *

ومن المعروف أن هناك العديد من الأحاديث الموضوعة عن يوم القيامة، وهذه الأحاديث مليئة بالخرافات ولا أصل لها فى صحيح الدين.

ويحدثنا الدكتور عبد الحليم محمود عن تصور المحاسبى فى كتاب عنه، بعد أن يسوق بعض الآيات القرآنية التى تصور ما سيحدث يوم القيامة بالنسبة للمنعمين فى الجنة أو المعذبين فى النار ويقول:

«والمحاسبى يتحدث عن القيامة فى مواضع مختلفة من مؤلفاته، وهو يسعى بذلك - على النهج القرآنى فى تحذير الناس -

إلى غرس التقوى فى قلوبهم بالوعد والوعيد. وقد خصص كتابا لوصف اليوم الآخر، وما يلقاه الإنسان بعد الممات هو كتاب (التوهم).. والواقع أنه لم يصدر هذا المؤلف كبحث دينى لشرح ما سوف يكون يوما ما فى الآخرة، ولكنه يصور فيه العالم الآخر ومصير الإنسان حسبما يتخيله هو منهما.. وهو لايناقش حجة، أو يذكر مصادر علم وإن كان لايخرج عن إطار فكر أهل السنة.

وكتاب التوهم لم يصدر عن عالم الهيئات، بل هو من إنشاء شاعر روائى، وأروع ما يلفت نظر القارىء له - بادىء ذى بدء - أسلوبه العربى الباهر، الذى يعتبر من مآثر المحاسبى الباقية على مر الزمن، ثم أنه جعل من وصفه الآخرة نموذجاً أدبياً فريداً، واستطاع أن ينفذ بكل فصل منه إلى أعماق قلوب قارئيه.

وليس لنا هنا أن نتناول مزايا هذا الكتاب من ناحية اللغة والأسلوب وإنما لنلتقى بوحى هيكله الأساسى.

يرى المحاسبى أن الإنسان إذا حضر أجله رأى ملاك الموت فى مظهر جميل غاية فى الجمال، أو فى مظهر مخيف، ويحدثه هذا الملاك إما بالوعود الباسمة، وإما بالوعيد حسبما أوتى فى دنياه من خير أو شر.

وبعد أن يهال عليه التراب، ينزل إليه ملكان يسألانه، فإذا كانت حياته خيرا يسرت عليه الإجابة، وإن كانت حياته شرا، تردد فى الإجابة وأثقل عليه.

ويفتح المكان طاقة فى القبر يلمح فيها الجنة بكل روعتها، أو جهنم وما أعد فيها من عذاب، طبقا لما كانت عليه إجاباته. ويندثر الجسم الميت، ولكن يبقى فى روحه إلى يوم (البعث)، إما السعادة وإما الشقاء، فإذا مات سائر البشر ولم تعد الأرض تحمل مخلوقات، ولم يبق إلا الله الخالد، تسمع أرواح الناس نداء يدعوها إلى الحساب الأخير عندئذ تنشق القبور، ويخرج منها الجميع إلى حيث المصدر.

* * *

إن عالم الخلود إذن هو العالم الآخر . . هو الحياة الحقيقية. . لايذوق الإنسان فيه مرة أخرى الموت، ولايعرف الشيخوخة، ولا الأمراض. . إنما هو نعيم مقيم، لايمكن أن تتصوره أو تتخيله لأنه فوق التصور والتخيل. .

ولا أجد ختاماً لهذا الكتاب إلا ما أختتم به الإمام (أبو حامد الغزالى) كتاب الاحياء فى سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك. .

يقول أبو حامد الغزالى:

سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك.

فقد كان رسول الله ﷺ يحب الفأل. وليس لنا من الأعمال ما نرجو به المغفرة، فنقتدى برسول الله ﷺ فى التفاؤل. ونرجو

أن يختم عاقبتنا بالخير فى الدنيا والآخرة، كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى. فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

ونحن نستغفر الله تعالى من كل مازلت به القدم، أو طغى به القلم فى كتابنا هذا وفى سائر كتبنا، ونستغفره من أقوالنا التى لاتوافقها أعمالنا، ونستغفره مما ادعيناه وأظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه، ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره، ونستغفره من كل وعد وعدناه به من أنفسنا ثم قصرنا فى الوفاء به، ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها فى معصيته، ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به، ونستغفره من كل خطرة دعتنا إلى تصنع وتكلف تزينا للناس فى كتاب سطرناه، أو كلام نظمناه، أو علم أفدناه أو استفدناه. ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا أو كتبه، أو سمعه، أن نكرم بالمغفرة، والرحمة، والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا، فإن الكرم عميم، والرحمة واسعة، والجود على

أصناف الخلائق فائض، ونحن خلق من خلق الله عز وجل لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه، فقد قال: رسول الله ﷺ «إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والطير والبهائم والهوام فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة».

ويروى أنه إذا كان يوم القيامة، أخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه: «إن رحمتى سبقت غضبى، وأنا أرحم الراحمين. فيخرج من النار مثلا أهل الجنة».

وقال رسول الله ﷺ: «يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكاً فيقول أبشروا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه فى النار يهودياً أو نصرانياً».

وقال النبى ﷺ: «ويُشَفِّع الله تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته فى مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف».

وقال ﷺ: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة للمؤمنين هل أحببتم لقائى: فيقولون: نعم ياربنا. فيقول: لِمَ. فيقولون: رجونا عفوك ومغفرتك. فيقول: قد أوجبت لكم مغفرتى».

وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرنى يوماً أو خافنى فى مقام».

وقال رسول الله ﷺ: «إذا اجتمع أهل النار فى النار ومن

شاء الله معهم من أهل القِبْلة قال: الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين. قالوا: بلى. فيقولون: ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا فى النار. فيقولون: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيأمر بإخراج من كان فى النار من أهل القبلة فيخرجون، فإذا رأى ذلك الكفار قالوا: ياليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٣].

وقال رسول الله ﷺ: «لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها».

وقال جابر بن عبد الله: من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة فذلك الذى يدخل الجنة بغير حساب. ومن استوت حسناته وسيئاته فذلك الذى يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة. وإنما شفاعة رسول الله ﷺ لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره.

ويروى أن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام: ياموسى، استغاث بك فرعون فلم تغثه. وعزتى وجلالى لو استغاث بى لأغثته وعفوت عنه.

وقال سعد بن بلال: يؤمر يوم القيامة بإخراج رجلين من النار، فيقول الله تبارك وتعالى. ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد، ويأمر بردهما إلى النار، فيعدو أحدهما فى سلاسله حتى

يقتحمها، ويتلكأ الآخر، فيؤمر بردهما، ويسألهما عن فعلهما. فيقول الذى عدا إلى النار: قد حذرّت من وبال المعصية، فلم أكن لأتعرض لسخطك ثانية. ويقول الذى تلكأ: حسنُ ظنى بك كان يشعرنى أن لاتردنى إليها بعد ما أخرجتنى منها. فيأمر بهما إلى الجنة.

وقال رسول الله ﷺ: «ينادى مناد من تحت العرش يوم القيامة يا أمة محمد أما ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتى».

ويروى أن أعرابيا سمع ابن عباس يقرأ ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. فقال الأعرابى: والله ما أنقذكم منها وهو يريد أن يوقعكم فيها. فقال ابن عباس: خذوها من غير فقيه.

وقال الصنابحى: دخلت على عبادة بن الصامت وهو فى مرض الموت، فبكيت، فقال: مهلا لم تبكى؟ فو الله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه، إلا حديثا واحد، وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسى. سمعت رسول الله ﷺ يقول «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم عليه النار».

وقال: عبد الله بن عمرو بن العاص: قال: رسول الله ﷺ «إن الله يستخلص رجلاً من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل منها مثل مَدِّ البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمتك كتبتى الحافظون؟ فيقول: لايارب. فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات. فيقول: إنك لاتظلم. قال: فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة . قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شىء.

وقال رسول الله ﷺ فى آخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراط «إن الله يقول للملائكة من وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: يا ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: ياربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ياربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به» فكان أبو سعيد يقول: إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا**

عَظِيماً ﴾[النساء: ٤٠]. قال: فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال: له نهر الحياة فيخرجون منها كما تخرج الحبة فى جميل السيل ألا ترونها تكون مما يلى الحجر والشجر ما يكون إلى الشمس أصفر وأخضر، وما يكون منها إلى الظل أبيض، قالوا: يارسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية. قال: فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة يقولون: هؤلاء عتقاء الرحمن الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين فيقول الله تعالى: إن لكم عندى ما هو أفضل من هذا. فيقولون: يا ربنا أى شىء أفضل من هذا؟ فيقول: رضائى عنكم فلا أسخط عليكم أبداً» رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما.

وروى البخارى أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «عرضت على الأمم يمر النبى ومعه الرجل والنبى ومعه الرجلان والنبى ليس معه أحد والنبى معه الرهط. فرأيت سواداً كثيراً فرجوت أن تكون أمتى فقيل لى هذا موسى وقومه، ثم قيل لى: انظر فرأيت سواداً كثيراً قد سدّ الأُفق، فقيل لى: انظر هكذا وهكذا فرأيت سواداً كثيراً، فقيل لى: هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق

الناس ولم يبين لهم رسول الله ﷺ. فتذاكر ذلك الصحابة فقالوا: أما نحن فولدنا فى الشرك، ولكن قد آمنا بالله ورسوله، هؤلاء هم أبناؤنا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «هم الذين لايكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم يارسول الله. فقال: «أنت منهم» ثم قام آخر فقال: مثل قول عكاشة. فقال النبى ﷺ «سبقك بها عكاشة».

وعن عمرو بن حزم الأنصارى قال: تغيب عنا رسول الله ﷺ ثلاثا لايخرج إلا لصلاة مكتوبة ثم يرجع. فلما كان اليوم الرابع خرج إلينا فقلنا يارسول الله احتبست عنا حتى ظننا أنه قد حدث حدث. قال: «لم يحدث إلا خيرا إن ربى عز وجل وعدنى أن يدخل من أمتى الجنة سبعين ألفاً لاحساب عليهم وإنى سألت ربى فى هذه الثلاثة أيام المزيد فوجدت ربى ماجداً واجداً كريماً فأعطانى مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً قال: قلت يارب وتبلغ أمتى هذا قال: أكمل لك العدد من الأعراب».

وقال أبو ذر: قال رسول الله ﷺ «عرض لى جبريل فى جانب الحرة فقال: بشر أمتك أنه من مات لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة. فقلت: ياجبريل وإن سرق وإن زنى. قال: نعم وإن سرق وإن زنى، قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: وإن سرق وإن زنى. قلت: وإن سرق وإن زنى. قال: وإن سرق وإن زنى وإن شرب الخمر».

وقال أبو الدرداء: قرأ رسول الله ﷺ ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ**

﴿جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]. فقلت: وإن سرق وإن زنى يارسول الله؟ فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ فقلت: وإن سرق وإن زنى؟ فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ فقلت: وإن سرق وإن زنى يارسول الله؟ قال: «وإن رغم أنف أبى الدرداء».

وقال رسول الله ﷺ «إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار».

وروى مسلم فى الصحيح عن أبى بردة، أنه حدّث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبى موسىٰ، عن النبى ﷺ قال: «لايموت رجل مسلم إلا أدخل الله تعالى مكانه فى النار يهودياً أو نصرانياً» فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذى لا إله إلا هو - ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ، فحلف له.

وروى أنه وقف صبى فى بعض المغازى ينادى عليه فيمن يزيد -فى يوم صائف شديد الحرّ- فبصرت به امرأة فى خباء القوم، فأقبلت تشتد، وأقبل أصحابها خلفها، حتى أخذت الصبى وألصقته إلى صدرها، ثم ألقت ظهرها على البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحرّ، وقالت: ابنى ابنى! فبكى الناس وتركوا ما هم فيه، فأقبل رسول الله ﷺ حتى وقف عليهم، فأخبروه الخبر فسر برحمتهم ثم بشرهم فقال: «أعجبتم من رحمة هذه لابنها؟» قالوا: نعم.

قال ﷺ: «فإن الله تبارك وتعالى أرحم بكم جميعاً من هذه بابنها» فتفرق المسلمون على أفضل السرور وأعظم البشارة.

فهذه الأحاديث وما أوردناه فى كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله تعالى: فنرجو من الله تعالى أن لايعاملنا بما نستحقه، ويتفضل علينا بما هو أهله، بمنه وسعة جوده ورحمته.

* * *

obeikandl.com